(سورة التغابن)

{ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }

{ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُمْ مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }

{ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ }

{ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ }

{ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }

{ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَاتِ فَقَالُواْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّٱسْتَغْنَىٰ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ }

{ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ }

{ فَآمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱلنّورِ ٱلَّذِي أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ }

{ فقالوا أبشر يهدوننا } لما حجبوا بصفات نفوسهم عن النور الذي هو به يفضل عليهم بما لا يقاس ولم يجدوا منه إلا البشرية أنكروا هدايته، فإن كل عارف لا يعرف معروفه إلا بالمعنى الذي فيه فلا يوجد النور الكمالي إلا بالنور الفطري ولا يعرف الكمال إلا الكامل، ولهذا قيل: لا يعرف الله غير الله.

وكل طالب وجد مطلوبه بوجه ما دالاً لما أمكن به التوجه نحوه، وكذا كل مصدّق بشيء فإنه واجد للمعنى المصدّق به بما في نفسه من ذلك المعنى، فلما لم يكن فيهم شيء من النور الفطري أصلاً لم يعرفوا منه الكمال فأنكروه ولم يعرفوا من الحق شيئاً فيحدث فيهم طلب فيحتاجوا إلى الهداية فأنكروا الهداية { فكفروا } مطلقاً أي: حجبوا عن الحق والدين والرسول وأعرضوا بالتوجه إلى ما

وجدوا من المحسوسات عن المعقول { و } قد { استغنى الله } بكماله لأنه واجد كماله مشاهد لذاته عرفوا أو لم يعرفوا { والله غنيّ } بذاته عن إيمانهم لا يتوقف كمال من كمالاته عليهم ولا على معرفتهم له { حميد } كامل في نفسه بكمالاته الظاهرة في مظاهر ذرات الوجود خصوصاً على أوليائه وإن لم يظهر عليهم، أي: إن لم يبصروه وإن لم يحمدوه بتلك الكمالات لاحتجابهم عنها فهو حميد من كل موجود بكماله المخصوص به.

{ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ }

{ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَٰتِنَآ أُوْلَـٰئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ } { مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }

{ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلاَغُ ٱلْمُبِينُ }

{ ٱللَّهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ }

{ ذلك يوم التغابن } أي: ليس التغابن في الأمور الدنيوية فإنها أمور فانية سريعة الزوال، ضرورية الفناء، لا يبقى شيء منها لأحد، فإن فات شيء من ذلك أو أفاته أحد ولو كان حياته فإنما فات أو أفيت ما لزم فوته ضرورة فلا غبن ولا حيف حقيقة وإنما الغبن والتغابن في إفاتة شيء لو لم يفته لبقي دائماً وانتفع به صاحبه سرمداً وهو النور الكمالي والاستعدادي فتظهر الحسرة والتغابن هناك في إضاعة الربح ورأس المال في تجارة الفوز والنجاة كما قال:

{ فَمَا رَبِحَتْ تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ }[البقرة، الآية:١٦]

فمن أضاع استعداده ونور فطرته كان مغبوناً مطلقاً كمن أخذ نوره وبقي في الظلمة، ومن بقي نور فطرته ولم يكتسب الكمال اللائق به الذي يقتضيه

استعداده أو اكتسب منه شيئاً ولم يبلغ غايته كان مغبوناً بانسبة إلى الكامل التام فكأنما ظفر ذلك الكامل بمقامه ومرامه وبقي هذا متحيراً في نقصانه { ومن يؤمن بالله } بحسب نور استعداده { ويعمل صالحاً } بمقتضى إيمانه فإن العمل إنما يكون بقدر النظر { يكفر عنه سيئاته } التي اتقى الله فيها بعمله { ويدخله جنات } على حسب درجات أعماله، فإن آمن تقليداً واجتنب المعاصي وعمل بالطاعات يكفر عنه سيئات ذنوبه ويدخله جنات النفس على حسب درجات عمله وتقواه، وإن آمن تحقيقاً واجتنب صفاته وعمل بالسلوك في صفات الله ومرضاته يكفر عنه سيئات صفات نفسه ويدخله جنات القلب على قدر مراتبه في الأعمال والمقامات، وإن آمن إيماناً عينياً وعمل بالمشاهدة واتقى الله في وجوده يدخل جنات الروح بتكفير سيئات وجود قلبه وصفاته، وإن آمن إيماناً حقيقياً واتقى في آنيته ورؤية فنائه يكفر عنه سيئات بقيته وتلوينه بظهور أنائيته ويدخله جنات الذات { والذين كفروا } حجبوا في مقابلة المؤمنين ومراتبهم { أولئك أصحاب } نار الطبقة التي حجبوا بها معذبين.

{ ما أصاب من مصيبة } من هذه المصائب الحاجبة وغيرها { إلا بإذن الله }

أي: بتقديره ومشيئته على مقتضى حكمته { ومن يؤمن بالله } أحد الإيمانات المذكورة { يهد قلبه } إلى العمل بمقتضى إيمانه حتى يجد كمال مطلوبه الذي آمن به ويصل إلى محل نظره { والله بكل شيء عليم } فيعلم مراتب إيمانكم وسرائر قلوبكم وأحوال أعمالكم وآفاتها وخلوصها من الآفات.

{ واطيعوا الله وأطيعوا الرسول } على حسب معرفتكم بالله وبالرسول فإن أكثر التخلف من الكمال والوقوع في الخسران والنقصان إنما يقع من التقصير في العمل وخور القدم لا من عدم النظر.

{ يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }

{ إِنَّمَآ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ }

{ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنْفِقُواْ خَيْراً لأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ }

{ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ }
{ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ }

{ إن من أزواجكم وأولادكم } أي: بعضهم لاحتجابكم بهم ووقوفكم معهم بالمحبة وشدة العلاقة فتشركونهم بالله في المحبة بالتساوي في المحبتين وتعبدونهم من دون الله بإيثارهم عليه { فاحذروهم } أي: احفظوا أنفسكم عن محبتهم وشدّة التعلق بهم والاحتجاب، وعاقبوهم عند التماسهم ذلك، أي: إيثار حقوقهم على حقوق الله في كل شيء من المحبة وغيرها { وإن تعفوا } بالمداراة { وتصفحوا } عن جرائمهم بالحلم { وتغفروا } جناياتهم بالرحمة، فلا ذنب ولا حرج إنما الذنب في الاحتجاب بهم وإفراط المحبة وشدة التعلق لا في مراعاة العدالة والفضيلة ومعاشرتهم بحسن الخلق فإنه مندوب بل اتصاف بصفات الله
{ فإن الله غفور رحيم } فعليكم التخلق بأخلاقه.
{ إنما أموالكم وأولادكم فتنة } ابتلاء وامتحان من الله إياكم
{ والله عنده أجر عظيم } لمن صبر في مقام الابتلاء وراعى حق الله فيه وتدارك ما قصر مما يجب لهم عليه فأساء الخلق وخالف أمر الله بما أمسك من المال وجمع ومنع حق الله فارتكب رذيلة البخل والعصيان، وما أفرط في محبتهم ومراعاتهم فأضاع حق الله واحتجب بهم وكذا في مبحة المال فوضع في المقت والخسران وما أسرف فيه وأنفقه في المعاصي فكفر بنعمة الله، وقعد عن القيام بشكرها، وإن أصاب مالاً وولداً موافقاً شكر وما بطر من شدّة الفرح وما استغنى فطغى وإن فاته شيء من ذلك صبر وما جزع من شدّة الحزن فهلك وغوى.
{ فاتّقوا الله } في هذه المخالفات والآفات في مواضع البليات { ما استطعتم } بحسب مقامكم ووسعكم على قدر حالكم ومرتبتكم { واسمعوا وأطيعوا } أي: افهموا هذه الأوامر واعملوا بها { وأنفقوا } أموالكم التي ابتلاكم الله بها في مراضيه وأتوا خيراً لكم أي: اقصدوا في الأموال والأولاد ما هو خير لكم
{ ومن يوق } بعصمة الله هذ الرذيلة المعجونة في طينة النفس
{ فأولئك هم المفلحون } الفائزون بمقام القلب وثواب الفضيلة.